﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾ [الأعراف: 16 - 17]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

المناسبة بين إنظارِ إبليسَ، والتزامِهِ بالإغواءِ والإغراءِ للبشرِ

لـمَّا كانَ قد حُكِمَ على إبليسَ بالشَّقاءِ، قابلَ اللَّعينُ نعمةَ الإمهالِ وإطالةَ العُمُر بالتَّمادي في الكفر، فقال: بما أغويتني لأقْطَعَنَّهُمْ عنكَ؛ بمنعِهم مِن فعلِ ما أمرتَهم به، وحملِهم على فعلِ ما نهيتَهم عنه، ولـمَّا أرادَ أن يُبيِّنَ أنَّه أقام نفسَه في هذا الأمرِ، في غايةِ الجدِّ وتمامِ الاجتهادِ، أشارَ إليه بحرفِ التَّراخي، فقال: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم﴾ الآيةَ[1]. وأيضًا: لـمَّا أنظرَ اللّهُ تعالى إبليسَ، قابلَ هذه النِّعمةَ بما هو من جِبلَّتِه، بالتَّمادي في الكفرِ؛ لإضلالِ البَشَرِ مِن كلِّ وجهٍ ممكنٍ، فأفادتِ الآيةُ الأولى تَرَصُّدَه للبشرِ بالإغواءِ، وأفادتِ الآيةُ الثَّانيةُ المعطوفةُ بـ﴿ثُمَّ﴾، تَهجُّمَه عليهم بشتَّى الوسائلِ، ومِن جميعِ الجهاتِ الَّتي يأتي منها العدوُّ غالبًا[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَغْوَيْتَنِي﴾: يدور معنى غَوِيَ على خلافِ الرُّشدِ، وإظلامِ الأمرِ والجهلِ به، والانهماكِ في الباطلِ، وهو مشتقٌّ مِنَ الغِيايَةِ، وهي الغَبَرةُ والظُّلمةُ، تغشيانِ الشَّيءَ، كأنَّ ذا الغَيِّ قد غَشِيَه ما لا يَرى معه سبيلَ حقٍّ، فهو في ظُلمةِ الباطلِ، لا يَرى طريقًا إلى الرُّشدِ، كما يدلُّ على فسادٍ في شيءٍ، يقالُ: غَوِيَ الفصيلُ؛ إذا أكثرَ مِن شُربِ اللَّبنِ؛ ففسدَ جوفُه، ولهذا يُطلق على ما يكونُ مِن اعتقادِ شيءٍ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/367 - 368.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/49.

فاسدٍ، والغِوايةُ: الانهماكُ في الغَيِّ، و﴿أَغْوَيْتَنِي﴾ في الآية بمعنى: أضللتني[1]، ومِن معنى أغواه اللّه: عاقبه وأهلكه، ومنه قوله تعالى: "﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾، وقوله: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: 34][2].

2) ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾: القُعُودُ يُقابَلُ به القيامُ، وامرأةٌ قاعدٌ؛ إذا قعدَتْ عنِ المَحيض، فَإذا أردتَ القُعود؛ قلتَ: قَاعِدَة، وَيُقَال: رجلٌ قاعدٌ عنِ الغَزْو؛ إذا لم يَغزُ، وقعيدة الرَّجُل: امْرَأَتُه؛ لملازمة جلوسِها معه، فالقُعُودُ: فيه مُلازمةٌ ومطاولةٌ في الوقتِ، ومنه: قواعدُ البيت أساسُه، ومنه كذلكَ: التَّعبيرُ عنِ التَّرصُّد للشَّيء بالقُعُودِ له، ومنه: قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ [الشعراء: 224]، قال الزَّجَّاج: والمعنى: أنَّ الشَّاعر إذا هجا بما لا يجوز؛ هويَ ذلك قومٌ، وأحبُّوه، فهمُ الغاوون[3].

3) ﴿صِرَٰطَكَ﴾: الصِّراطُ: هو الطَّريقُ المستقيمُ الواضح، الَّذي يمرُّ سالكه فيه مرورًا سهلًا سريعًا، بلا عقبات تُرَيِّثُه، وهو كالطَّريق والسَّبيل في التَّذكير والتَّأنيث، وَتَذْكِيرُهُ أَكْثَرُ، ومِنَ المجاز: سيفٌ سراط؛ هو السَّيف القاطع الماضي في الضَّريبة، لا يعوقه شيءٌ، وقد رُسِمت كلمةُ صراطٍ في المصحف بالصَّاد؛ لمناسبةِ صوت الطَّاءِ بعدها، وأصلُها اللُّغويُّ بالسِّين (سِراط)[4]، وقوله: ﴿صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، بمعنى: دينِ اللّهِ الحقِّ، أي: المِلَّةِ الحنيفيَّةِ السَّمْحة، المتوسِّطةِ بينَ الإفراطِ والتَّفريط[5].

4) ﴿بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾: هذا التَّركيبُ يأتي بمعنى: الأمام أو القُدَّام، يقالُ: بين يَدَيَّ، لكلِّ شيءٍ أمامَك، وحقيقةُ قولِهم: جلستُ بينَ يَدَي فُلانٍ، أنْ يجلس بينَ الجهتينِ المُسامِتتينِ ليَمينِه وشمالِه قريبًا منه، فسُمِّيتِ الجهتانِ يَدَينِ؛ لكونِهما على سَمتِ اليَدَينِ، معَ القُربِ منهما توسُّعًا، كما يُسَمَّى الشَّيءُ باسمِ غيرِه، إذا جاورَه وداناه في غير موضعٍ، فيُسْتَعملُ بين يَدَيهِ على سبيلِ الاستعارةِ، بأن يكونَ أمامَه قريبًا منه،

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (غوي)، وابن الجوزيّ، تذكرة الأريب، ص: 108.
(2) أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: 2/1652.
(3) ابن سيده المرسّي، المحكم والمحيط الأعظم: (غوى).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والزّمخشريّ، أساس البلاغة، والرّاغب، المفردات: (سرط).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 12/334.

وقد لا يكونُ للمُتقدَّمِ عليه يَدَانِ، ويقالُ: مَشى بَين يَدَيْهِ، أي: قُدَّامَه[1]..

5) ﴿أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾: الأَيمانُ: جمع يمين، واليمينُ هنا: جِهةُ جانبِ جسمِ الإنسان، وتكون مُقابلَ الشِّمال، وتُطلقُ اليمينُ على الجارحةِ كذلك[2]، "واليمين: لليد والرِّجل مِنَ الإنسان مؤنَّثة، ويقال في جمعها: أيمان، والشِّمال مؤنَّثة، ويقال في جمعها: شمائل، قال اللّه تعالى: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِلَّهِ﴾ [النّحل: 48]، وقال تعالى: ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ [الأعراف: 17]، ويقال أيضًا في الجمع: أَيْمُن وأَشْمُل"[3].

6) ﴿شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾: جمعُ شِمال، واليَدُ الشِّمَال، والجانبُ الشِّمَال بكسرِ الشِّين، خِلَافُ اليَمِينِ، وهي الجِهةُ الَّتي تكون شِمالًا مِن جسمِ الإنسانِ، أي: مُقابِلَ اليَمين، وَالتَفَتَ يمينًا وشِمالًا، أَي: جِهَةَ اليمِينِ وجِهَةَ الشِّمال[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إبليسُ يُقسمُ على إضلالِ بني آدمَ، وصدِّهم عن الهُدى

قال إبليسُ اللَّعينُ: فبسببِ إضلالِك لي، أُقسمُ بكَ لأَلزمنَّ الجلوسَ لذريَّة آدمَ على طريقِ الإسلامِ الحقِّ القويمِ الَّذي فطرتَهم عليه، ثمَّ لآتينَّهم من جميعِ الجهاتِ والجوانبِ، فأصدَّهم عن عبادتِك وطاعتِك، وأزيِّنَ لهمُ الباطلَ؛ لئلَّا يوحِّدوك ويعبدوك، ولا تجدُ أكثرَ بني آدمَ شاكرينَ لك نِعمَك عليهم.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ الفاءِ على التَّرتيب والتَّسبُّبِ في قوله ﴿فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾:

تُفيدُ الفاءُ التَّرتيبَ، وأن يكونَ ما بعدَها مُسَبَّبًا على ما قبلَها،

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/350، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/180، ومجمع اللّغة العربيّة، القاهرة، المعجم الوسيط: (يدي).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، الفيومي، المصباح المنير، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (شمل).
(3) ابن سيده المرسّي، المخصص: 5/128.
(4) الفيّومي، المصباح المنير، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (شمل).

والمعنى: كلُّ ما تَقدَّم ممَّا حَكَم اللَّهُ تعالى به على إبليسَ اللَّعين، هو سببٌ لِمَا بعدَ الفاء، وما بعدها مُرتَّبٌ على ما قبلَها، أي: لأنَّكَ أهبطتني مِنَ الجنَّة، وأخرجتني منها، وجعلتني مِنَ الصَّاغرين، وأنظرتني إلى يومِ الوقت المعلوم؛ لأجتهدَنَّ في إغواء النَّاس، وأصدَّهُم عن صراطكَ المستقيم. ويُحتمَلُ أن تكون الفاءُ مُرتِّبةً الإغواءَ على الإنظار، أي: بعدَ أن أمهلتني، لأجتهدَنَّ في إغوائهم. وذهب ابن عاشور - رحمه الله - إلى أنَّ الفاء للتَّرتيب والتَّسبُّب على أمرين؛ هما: قوله: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾، وقوله: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾؛ إذْ دلَّ مضمونُ ذَيْنِكَ الكلامين على أنَّ اللَّه خلق في نفس إبليسَ مَقْدرةً على إغواءِ النَّاس بقوله: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾، وأنَّه جعله باقيًا متصرِّفًا بِقِواهُ الشِّرِّيرةِ إلى يومِ الوقتِ المعلوم[1].

إبليس يقابلُ إغواءَهُ بالتَّرصُّد لإغواءِ البشرِ إلى يومِ الوقتِ المعلومِ

دلالةُ الباءِ في قوله تعالى: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾:

يُحتمَل أن تكونَ الباء للقَسَم، أي: بقدرتك عليَّ، ونَفاذِ سلطانِكَ فيَّ، لأقعُدَنَّ لهم على الطَّريق المُسْتَقيم الَّذي يسلكونه إلى الجَنَّة؛ بأنْ أزيِّنَ لهم الباطِلَ وما يُكسبُهُمُ المآثِمَ، ويدلُّ على أنَّها باء القَسَم قولُه تعالى: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ [ص: 82]، كما تقول: فباللهِ لأفعلنَّ. ويُحتمَل أن تكون سببيَّةً، وهو ظاهر اختيار الزَّمَخْشَريِّ وغيره، والمعنى: فَبسبب وُقُوعِي في الغَيِّ، أُقسِم لأجْتَهِدَنَّ في إغوائهم؛ حتَّى يَفْسُدُوا بسببي، كما فَسَدْتُ بسببهم. كما يُحتمَل أن تكون للمُجازاةِ، وفيها معنى السَّببيَّة، والمعنى: فبإغوائِك لي لَأقعدنَّ لهم، كما يقول أحدهم: فبإكرامك يا زيدُ لأكرمنَّك[2].

اجتهادُ إبليسَ في إشاعةِ الإغواءِ مسلكٌ للانتقامِ والإضلالِ

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/7، والقونويّ، حاشيته على البيضاويّ: 8/348، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/46.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 12/333، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/380، والزّمخشريّ، الكشّاف: 2/91، وابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 9/37.

دلالةُ (ما) على المصدريَّةِ في جملة ﴿فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾:

اتِّصافُ إبليسَ بحقيقةِ الإغواءِ وتمرُّسه فيه

تُفيد (ما) هنا المصدريَّة[1]، بمعنى: حصولِ حقيقةِ الإغواءِ لإبليس، من غيرِ نظرٍ إلى وصفِ هذا الإغواء، بأيِّ وصفٍ كان، ومِن غيرِ تقييدٍ بوقتٍ، والمعنى: أنَّ الإغواء إذا أُطلِق يُوصَف به ما حصلَ لإبليسَ اللَّعين، فيكونُ الوصفُ بمعنى المُطْلَق، أي: اتِّصافُه بكمال الإغواءِ.

دلالةُ صيغةِ ﴿أَغۡوَيۡتَنِي﴾ في جملة ﴿فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ﴾:

نسبةُ إبليسَ إلى الإغواءِ؛ لاعتراضِه على اللهِ، وتكبُّرِه على أمرِه وهداهُ

صيغةُ (أفعل) للنِّسبة، فمعنى: ﴿أَغۡوَيۡتَنِي﴾ نَسَبْتَني إلى الإغواء، أي: بسببِ اعتراضِه على اللّه تعالى وتكبُّره؛ ولأنَّه مِنَ الصَّاغرين. أو تكونُ الصِّيغة حملًا على الغيِّ، أي: لمَّا أمر اللّهُ تعالى بالسُّجود لآدمَ، عند ذلك ظهر غَيُّ إبليسَ وكُفْرُه، فجاز أن يُضيفَ ذلك الغَيَّ إلى اللّه تعالى، باعتبارِ أنَّ غَيَّه ظهر لمَّا اعترض على أمرِ اللّه، وتكبَّر على آدم، فلم يسجد. ويُحتمَل أن تكونَ الصِّيغةُ على أصلِها، والمعنى: أغواه اللّهُ تعالى، بما قضى مِن حِكْمتِه وتقديرِه[2].

لفظ القُعُود بينَ الكنايةِ والاستعارةِ التَّمثيليَّةِ:

مواظبةُ إبليسَ على الإفسادِ بالوسوسةِ، لا يَفْتُر عنها ولا يتوانى

عبَّر بلفظ: ﴿لَأَقۡعُدَنَّ﴾ كنايةً عن مُلازمته للإفسادِ، ومواظبتِه عليه مواظبةً لا يَفْتُر عنها، ووجه الكنايةِ: هو أنَّ مُلازمةَ المكانِ تستلزمُ الإعياءَ مِنَ الوقوف عنده، فيَقْعُد المُلازِمُ طلبًا للرَّاحةِ، وأيضًا مَن أراد أنْ يبالغَ في تكميلِ أمرٍ مِنَ الأمورِ؛ قعدَ حتَّى يصيرَ فارغَ البالِ، فيمكنهُ إتمامُ المقصود، أو يكونُ الكلامُ على طريقِ الاستعارةِ التَّمثيليَّةِ؛ إذْ عُبِّر بالقعود مجازًا عن ترصُّده لآدمَ وذُريَّتِه، مع مواظبتِه عليه، إذْ مَثَّل إغواءَهم عن دينِ الحقِّ، بكلِّ ما يمكن مِنَ الحِيَلِ، بمَنْ يريدُ أنْ يقطعَ الطَّريقَ على السَّابلةِ، فيَكْمَنَ لهم

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/20، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 8/348.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/7، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 8/348.

مِن حيث لا يَدْرون، ويترصَّدُ بهم من حيثُ لا يشعرون، كما يَقعُد القُطَّاعُ للقَطْعِ على السَّابلةِ في الطَّريق، والمعنى: صَدُّ المؤمنين عنِ الصِّراط المستقيم، وقَطْعُه عليهم، بِما يُزيِّنه مِنَ الباطلِ، فيسلكوا سبُلًا أُخرى، حتَّى يَهْلِكوا كما هَلَكَ، أو يَضِلُّوا كما ضَلَّ، أو يَخِيبوا كما خَابَ[1].

دلالةُ صيغةِ المضارعِ المؤكَّدِ في قولِه: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾:

أفادتْ صيغةُ المضارعِ استمرارَ قعودِ إبليسَ على الصِّراطِ المستقيمِ لإفسادِ النَّاسِ، وتجدُّدَه حالًا فحالًا، مِن غير انقطاعٍ ولا فُتورٍ، ومعنى ذلك: "لأَلْزَمنَّ الصِّراط، ولأَسعَينَّ غايةَ جَهْدي، على صدِّ النَّاس عنه، وعدمِ سلوكِهم إيَّاه"[2].

استمرارُ قعودِ إبليسَ تجدُّدٌ للإفسادِ للعبادِ دون انقطاعٍ

دلالةُ تتابعِ التَّأكيدِ في قولِه: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾:

جاء الفعلُ المضارعُ في قوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾، مُقترنًا بتأكيدين: بلام القَسَمِ وبنونِ التَّأكيد الثَّقيلة؛ لِتأكيد قعودِه، وتقريرِ استمرارِه مِن غير انقطاعٍ، لقصد تأكيدِ حصول ذلك، وتحقيقِ العزم عليه[3].

تأكيدُ إبليسَ قُعودَه على الصِّراط بعقدِ العزمِ على إغواءِ البشرِ باطِّرادٍ

علَّةُ عودِ الضَّميرِ في ﴿لَهُمْ﴾ من قولِه: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾:

عاد ضميرُ الجمعِ (هم) إلى غير مذكورٍ؛ لأنَّه معلومٌ عند المخاطَبين مِنَ السِّياق ومَقامِ المقاولةِ، والمعنى: لَأَقْعُدَنَّ لآدمَ وذريَّته صراطَكَ المستقيم[4]، وهو بذلك: "يتحدَّى اللهَ، ويثأرُ لنفسه - في شخصِ هذا الإنسان الَّذي أرادهُ اللهُ ليكون خليفةً في أرضِه - فيُفسدُ عليه أمرَه، ويُشوِّه وجهَ خلافته"[5].

استغنى السِّياقُ عن ذِكرِ لفظِ (النَّاس) للعِلْمِ بهم

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/212، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/7، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/219، والشّهاب، حاشية على تفسير البيضاويّ: 4/188، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/47.

(2) السّعدي، تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان، ص: 284.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/46.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/47.

(5) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنّي للقرآن: 4/378.

بيانُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ في قوله ﴿لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾:

قـعـودُ إبـليسَ عـلى الـصِّـراطِ إغـواءٌ للنَّاسِ، وصـدٌّ عـن نهجِ ربِّ النَّاس

أفادَ تقديمُ ﴿لَهُمۡ﴾ على ﴿صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ اهتمامَ إبليسَ بآدمَ وذرِّيَّتِه، وأنَّ قعودَه وترصُّده إنَّما هو لأجل إغوائهم، كما أشعرَ التَّقديمُ بالتَّعليل، أي: إنَّ قعودَه على الصِّراط المستقيم لأجلِ إغوائهم وصدِّهم عنه.

دلالةُ اللَّام في ﴿لَهُمۡ﴾ في قوله تعالى ﴿لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ﴾:

غـايـةُ الـقُـعـودِ الإغـواءُ بإفساد بني آدمَ وحوَّاء

اللَّام هنا بمعنى: لأجل، والمعنى: لأجل إغوائهم[1]، فغايةُ القُعودِ ودَاعِيه: الإزاغةُ والإغواء عنِ السَّبيلِ القويم والطَّريق المستقيم، والمعنى: "فبسببِ إغوائِك إيَّايَ مِن أجلِ آدمَ وذُريَّته، أُقسِم لَأَقعدَنَّ لهم على صراطك المستقيم، أو فيه، أو لَأَلْزَمَنَّه، فأَصُدَّهم عنه، وأَقْطَعَهُ عليهم؛ بأن أُزَيِّنَ لهم سُلوكَ طُرقٍ أُخرى، أُشَرِّعُها لهم، مِن جميعِ جوانبِه لِيَضِلُّوا عنه"[2].

نكتةُ تعدِّي ﴿لَأَقۡعُدَنَّ﴾ إلى المفعولِ ﴿صِرَٰطَكَ﴾:

تـنـوُّعُ التَّـوجيهِ وتـعـدُّدُ المعنى وسـعـتُـهُ مِـن بلاغةِ السِّياقِ

يُحتمَلُ أن يكونَ صراطُك منصوبًا بنزع الخافض، بتقديرِ: (على صراطِكَ)، وحَذْفُ كلمةِ (على) جائزٌ؛ لأنَّ الصِّراط ظرفٌ في المعنى، ويكونُ المعنى على إرادةِ إبليسَ اللَّعينِ استيعابَ قعودِه على صراطِ اللهِ القويمِ؛ ليكونَ مُتمكِّنًا مِن الإغواءِ والتَّزيين، والصَّدِّ عنِ الصِّراط، وقَطْعِ الطَّريق على المؤمنين. ويُحتمَل أن يكونَ بتضمين الفعلِ ﴿لَأَقۡعُدَنَّ﴾ فعلًا متعدِّيًا بنفسه إلى ﴿صِرَٰطَكَ﴾؛ ليكونَ ﴿صِرَٰطَكَ﴾ مفعولًا به، والتَّقديرُ: (لَأَلْزَمَنَّ بِقُعُودِي صِرَاطَكَ المُسْتَقِيمَ)؛ لِمَا في القعود مِن معنى الملازمةِ والمطاولةِ في الوقت، ومِن معنى التَّرصُّد، كما يُحتمَل أن يكونَ منصوبًا على الظَّرفيةِ المكانيَّةِ اتِّساعًا، بتشبيهِ الظَّرفِ المُختصِّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/47.
(2) محمّد رضا، تفسير المنار: 8/300.

بالـمُبْهَم، بتقديرِ: (لأقعدنَّ في صراطك)[1]، فتنوَّعَ التَّوجيهُ، وتَكَثَّرتِ المعاني.

دلالةُ الإضافةِ في قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَكَ﴾ مِنَ الآيةِ الكريمة:

إضافةُ الصِّراطِ إلى اسم الجلالة على تقديرِ اللَّام، بمعنى: الصِّراطِ الَّذي هو لك، أي: الَّذي جعلتُه طريقًا لك، فأفادتِ الإضافةُ مَزيدَ إيضاحٍ بتخصيصِ الصِّراطِ، بإضافتِه إلى اللّٰه تعالى، فلا طريقَ مُوصِلًا إلى اللّٰه تعالى ورضوانِه، سوى صراطِه المستقيم[2].

لا طريقَ يُوصلُ إلى الله تعالى ورضوانِه سِوى صراطِهِ المستقيمِ

نكتةُ مجيءِ الصِّفةِ ﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾:

لـمَّا كان الصِّراطُ هو الطَّريق المستقيمُ، أفادت الصِّفةُ في قولِه تعالى: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ تأكيدَ معنى استقامةِ الصِّراط وتقريره؛ للإشعارِ بأنَّه أقصرُ طريقٍ مُوصِلٍ إلى اللّٰه تعالى، "أي: في جميعِ صراطِكَ، بما دلَّ عليه نزعُ الخافضِ و﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، وهو الإسلام بجميع شُعَبِهِ"[3].

الصِّراطُ المستقيمُ أقصرُ وأضمَنُ طريقٍ مُوصِلٍ إلى الله تعالى

بلاغةُ الاستعارةِ في قولِه: ﴿صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾:

في قوله: ﴿صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ استعارةٌ تصريحيَّةٌ، فقد شَبَّه الدِّينَ الحقَّ الَّذي لا تخالطُه شُبهةُ باطلٍ بالطَّريقِ المستقيم، الَّذي ليسَ بهِ أدقُّ انحرافٍ قد يخرجُه عن حدودِ الاستقامةِ، فهو كالطَّريق الذي لا تتخلَّلُهُ عَثَراتٌ[4].

صراطُ اللهِ المستقيمُ طريقٌ لا انحرافَ فيه ولا تَعثُّر

دلالةُ حرفِ العطف ﴿ثُمَّ﴾ في قولِه: ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم﴾:

أفادت ﴿ثُمَّ﴾ هنا التَّرتيبَ الرُّتَبيَّ، بمعنى التَّدرُّج في الأخبار إلى خبر أهمَّ وأكثرَ خَطرًا؛ لأنَّ مضمونَ الجملةِ المعطوفةِ أوقعُ في غرضِ

إفادةُ (ثُمَّ) التَّدرُّجَ الرُّتَبيَّ في الأخبارِ، بالانتقالِ إلى الخبرِ الأهمِّ

(1) الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/324، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/212، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/7، وأبو حيّان، البحر المحيط: 5/21.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/47.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور: 7/368.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/190 - 191.

الكلام، مِن مضمونِ الجملةِ المعطوفِ عليها؛ فإنَّ الجملةَ الأولى: أفادت تَرَصُّدَ إبليسَ للبشرِ بالإغواءِ، وبالقعودِ على صراطِ اللهِ المستقيمِ، المعلومِ عند المؤمنين، والجملةَ المعطوفةَ: أفادت تَهَجُّمَهُ عليهم بشتَّى الوسائلِ، ومِن جهاتٍ متنوِّعة.

توجيهُ التَّعبيرِ بالمضارعِ مع توالي المؤكِّدات في ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم﴾:

إغـواءُ إبليسَ مُتجدِّدٌ، لا تَفْتُر لهُ فيه عزيمةٌ

في قوله: ﴿لَآتِيَنَّهُم﴾ أفادت صيغةُ المضارعِ المؤكَّدِ بتأكيدين: (اللَّام، والنُّون الثَّقيلة)، استمرارَ إتيانِ إبليسَ للنَّاس مِنَ الجهاتِ الأربعِ لإضلالهم، وتَجَدُّدَ هذا الإتيانِ حالًا فَحَالًا، وقد أفادت لامُ القسم ونونُ التَّوكيد الثَّقيلة في قوله: ﴿لَآتِيَنَّهُم﴾ تأكيدَ الحَدَث والزَّمن، بمعنى: تأكيدِ إتيانِ إبليسَ اللَّعينِ مِنَ الجهات المذكورة، وتأكيدِ استمرارِ إتيانه مِن غير انقطاعٍ.

مناسبةُ عطفِ ﴿لَآتِيَنَّهُم﴾ على ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾:

تـدرُّجُ إغـواءِ إبـلـيـسَ مِـنَ الـقـعـودِ إلى إتيانِ النَّاسِ في محالِّهم

جَمَعَ في عطف الجملتين الواقعتين جوابًا للقسم بينَ القعودِ على الصِّراط، بمعنى الصَّدِّ عنه، والإتيانِ إلى المؤمنين في محالِّهم وطريقِهم، فلم يكتفِ الملعون بالقُعودِ لصَدِّ السَّائرين إلى الله تعالى، بل زادَ مِن إغوائه، بأن يأتيَ هو إليهم مِن جميعِ الجهاتِ، ولهذا كانت ﴿ثُمَّ﴾ على معنى التَّدرُّج مِنَ القعودِ إلى الإتيانِ، أي: إلى الأكثرِ إغواءً وإضلالًا عن طريقِ الحقِّ، فكأنَّ الإتيانَ أخطرُ مِنَ القعودِ.

نكتةُ المخالفةِ في حروفِ الجرِّ في ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾:

تـنـويـعُ إبليسَ الـجـهـاتِ الَّتي يـأتي مـنـهـا؛ ليكونَ أشدَّ في تزيينِ الباطلِ

عُبِّر بـ ﴿مِنۢ﴾ في قوله: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾؛ لأنَّ الإتيانَ مِنَ الأمامِ ومِنَ الخَلْف لا يكون فيه انحرافٌ ولا تَجافٍ، وعُبِّر بـ﴿وَعَنۡ﴾ في قوله: ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ لما في (عن) مِن معنى المجاوزةِ، أي: يأتيهم مُتجافيًا عن جهة اليمين وعن جهة الشِّمال، مُنحرفًا عنِ المؤمنِ غيرِ ملاصقٍ له؛ ليكون أشدَّ في تزيين الباطل، كي لا يعلمَ المؤمنُ أنَّ إبليس هو الَّذي يزيِّنُ له الباطلَ ويصدُّهُ

عنِ الصِّراط، فيجتنبَ تزيينَه، وقال أبو السُّعود في نُكتة المخالفة في حَرْفي الجرِّ هنا: "وإنَّما عُدِّيَ الفعلُ إلى الأَوَّلَيْن بحرف الابتداء؛ لأنَّه منهما مُتوجِّهٌ إليهم، وإلى الآخَرَين بحرفِ المجاوزة، فإنَّ الآتيَ منهما كالمُنحَرفِ المُتجافي عنهم، المارِّ على عَرضِهم"[1].

بلاغةُ التَّركيبِ بينَ المجازِ والكنايةِ:

شـدَّةُ قُـربِ إبـلـيـسَ مِـنَ الـنَّـاس؛ لإغـوائـهـم وصـدِّهـم عـنِ الصِّراط

أفاد التَّعبيرُ بالتَّركيب: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾، الإشعارَ بقُرْبِ إبليسَ مِنَ النَّاس، فلم يَقُل: (مِن أمامهم)؛ لأنَّ الأمامَ أوسعُ مِن أنْ يكونَ بينَ يَديه، والمعنى: أنَّه يكونُ أمامَه بقُربٍ منه مسامتًا يديه؛ للإشعارِ بشدَّة قُربه، ولذلك قُوبِل بالخَلْف، فإمَّا أن يكون مجازًا مِن استعمال التَّركيب في المعنى المجاور له على سبيلِ التَّوسُّع، وإمَّا أن يكون كنايةً عنِ الأمامِ مع القُرْبِ منه[2].

مناسبةُ جمعِ اليمينِ والشِّمالِ في ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾:

اعـتراضُ إبليسَ عـنِ الأَيـمـانِ والشَّـمـائل؛ لِمَا يَـقـعُ فيهما مِن قلَّةِ اليقظة

جُمِعَ اليمينُ والشِّمالُ في قوله: ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾؛ لأنَّ الجمعَ هنا في مقابلة كَثْرةِ مَن يريد إغواءَهم، فكأنَّه أقسمَ أن يأتيَ إلى كلِّ واحدٍ مِنَ النَّاسِ مِن بينِ يديه ومِن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ولا يَحْسُنُ هنا عن يمينِهم وعن شمالِهم، بل الجمعُ هاهنا مِن مقابلةِ الجُملةِ بالجُملة، المُقْتَضي توزيعَ الأفرادِ، ونظيرُه: ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ [المائدة: 6][3]، كما أنَّ الأيمانَ والشَّمائلَ مُتعدِّدةٌ، وأمَّا الأمامَ والخَلْفَ فهو واحدٌ؛ للإشعارِ بأنَّ اعتراضَه المؤمنين عن أيمانِهم وشمائلهم أكثرُ من غيرِهما؛ لِمَا يقعُ فيهما مِن قلَّةِ اليقظة.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/219.

(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/350، والنّيسابوريّ، غرائب القرآن: 3/261، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/180.

(3) ابن قيّم الجوزيّة، بدائع الفوائد: 1/120.

سُبُل إبليسَ كثيرةٌ متنوِّعةٌ، وصراطُ اللهِ مستقيمٌ واحدٌ:

شـتَّـان بـين سُبُل الشَّيطانِ وسبيلِ الرَّحمن

وأشعرَ الجمعُ - أيضًا - أنَّ سُبُلَ إبليسَ كثيرةٌ متنوِّعةٌ، وأنَّ صراطَ اللهِ مستقيم واحدٌ، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: 153]، فعن عبد الله بنِ مسعُودٍ ﷺ قال: "خطَّ لنا رسولُ اللهِ ﷺ خطًّا، ثُمَّ قال: «هذا سَبِيلُ اللهِ»، ثُمَّ خطَّ خُطُوطًا عن يمينه وعن شِماله، وقال: «هذه سُبُلٌ، على كُلِّ سَبِيلٍ منها شيطانٌ يَدْعُو إليه»، وقرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ﴾ [الأنعام: 153] الآية"[1]، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام: 153]، أي: سُبُلَ الشَّياطينِ المُنْحَرفةَ الزَّائغةَ المُتَشَعِّبةَ، مِن طُرُقِ الشِّرْكِ والبِدْعَةِ الَّتي أشارَ إليها ﷺ بقوله: «سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي على ثَلَاثٍ وسبعينَ فِرْقَةً، كُلُّها في النَّارِ إلَّا الَّتي على ما كُنتُ عليه أنا وأصحابي»، وبهذا الحديث يندفع زَعْمُ كلِّ فريق أنَّه على الصِّراط المستقيم، ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾ بحذْفِ إحدَى التَّاءَيْنِ، ﴿عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: 153] إشارةٌ إلى أنَّهُ لا يمكن اجتماعُ سَبِيلِ الحقِّ مع السُّبُلِ الباطِلَةِ[2].

بلاغةُ الإطنابِ:

إيضاحُ مسالكِ إتيانِ إبليسَ للمؤمنينَ

ورد قولُه تعالى: ﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ﴾، على طريقِ الإطنابِ؛ للتَّنبيه إلى عِظَمِ خَطَرِ إبليسَ، فأوضحَ طريقَ إتيانِه تمامَ الإيضاحِ والبيانِ، والمعنى: (ثمَّ لآتينَّهم بالإغواءِ والإضلالِ من جميعِ جهاتِهم)، فجاء الكلامُ على التَّفصيل مُبالغةً في التَّوكيد، أو المعنى: ثمَّ لآتينَّهم مِن جميعِ وجوه الحقِّ والباطل، فأَصدَّهم عنِ الحقِّ، وأُحَسِّنَ لهم الباطلَ[3].

(1) الحديث رواه أحمد والنّسائي والدّارميّ، ينظر: الهرويّ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: 1/254.
(2) الهرويّ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: 1/254.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 12/341، والواحديّ، التّفسير الوسيط: 2/355.

بلاغةُ الاستعارةِ التَّمثيليَّة في هذه الآيةِ الكريمةِ:

ذكـرَ الجـهـاتِ الأربـعَ؛ لأنَّـها هي الَّتي يُعتاد هـجـومُ الـعـدوِّ منها

ذَكَر الجهاتِ الأربعَ في قوله: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾، على طريقِ الاستعارة التَّمثيليَّة؛ لأنَّ هذهِ الجهاتِ هي الَّتي يُعتاد هجومُ العدوِّ منها، وهذه الجهات معنويَّة، كما أنَّ الصِّراطَ الذي يريد إضلالهم عنه معنويٌّ، ووجهُ الاستعارةِ هنا: أنَّه مثَّلَ قَصْدَه إيَّاهم للتَّسويل والإضلال مِن أيِّ وَجهٍ يتيسَّر، بإتيان العدوِّ مِنَ الجهات الأربعِ، ولذلك لم يُذكَرِ الفَوْقُ والتَّحْتُ؛ لأنَّه غيرُ متعارَف، وهو نادر الوقوع[1]، ولقد حمى اللهُ ﷻ المؤمنين من هذا الوعيد بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ١٠٠﴾ [النّحل: 99 - 100].

بديعُ الطِّباق في الآية الكريمة:

الإحـاطـةُ بجهاتِ الإغواءِ الـمُـحـتَـمَـلـةِ مـبـالـغـةٌ في الإغواءِ

ورد الطِّباقُ في قوله: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾، وفي ذِكْرِ: ﴿بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ و﴿خَلۡفِهِمۡ﴾، وذِكْر: ﴿أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ و﴿شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾، استغراقٌ للجهات الَّتي يأتي منها العدوُّ غالبًا، ومزيدُ بيانٍ لإحاطته بسُبُل الإتيانِ المُصَوَّرِ بالجهات، ومبالغةٌ في توكيد الإغواء، وفي هذا الصَّدد ورد عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قولُه: لم يكن رسولُ الله ﷺ يَدَعُ هؤلاء الدَّعوات: «اللَّهُمَّ احفظني مِن بين يَدَيَّ ومِن خَلْفي، وعن يَميني وعن شِمالي، ومِن فوقي، وأعوذُ بكَ أن أُغتال مِن تحتي»[2].

بلاغةُ الكنايةِ في جملة ﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾:

لـمَّا كان اتِّباعُ صِراطِ اللهِ مِنَ الإيمانِ، كان التَّنكُّبُ عنه، واتِّباعُ

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/7، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 8/350، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/219.

(2) الحديث رواه أحمد في المسند: 8/403، وأبو داود في سننه: 4/318، والطبراني في المعجم الكبير: 12/343، وذكره الهيثميُّ في موارد الظَّمآن إلى زوائد ابن حِبّان، ص: 585.

سُبُلِ إبليسَ مِنَ الكُفر، فكُنِّيَ بنفي الشُّكر عنِ الكفر؛ إذ لا واسطة بينهما، كما قال تعالى: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [البقرة: 152].

الشُّكرُ على نِعَمِ اللهِ مِنَ الإيمانِ، وجَحْدُها كفرٌ

ووَجْهُ هذه الكنايةِ، إن كانت محكيَّةً كما صَدرت مِن كلام إبليس: أنَّه أرادَ الأدبَ مع اللّهِ تعالى، فلم يُصَرِّحْ بينَ يديهِ بكُفرِ أتباعِه، المُقتَضِي أنَّه يأمرُهم بالكُفر، وإنْ كانت مِن كلامِ اللّهِ تعالى: ففيها تنبيهٌ على أنَّ المشركين باللّه قد أَتَوا أمرًا شنيعًا؛ إذ لم يشكروا نِعمَهُ الجَمَّةَ عليهم[1].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/464.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 13 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-09-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 13 : سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-09-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»